مميــزات الأغراض الشعرية في شعر عبد الكريم النهشلي

الأستاذ: أنيسة بن جاب الله
قسم الأدب العربي
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
جامعة جيجل- الجزائر

ملخـــص:

تهتم هذه الدراسة بخاصية مهمة تميز شعر الشعراء النقاد؛ وهي تأثر هذا الشعر بمواقفهم وتوجهاتهم النقدية المختلفة، ونخصص من هؤلاء الشعراء عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي(405هـ) المغربي، وذلك من خلال عرض أهم ما وصلنا من أغراضه الشعرية على ما جاء في تصوره النقدي لتصنيف الشعر، ولما عرف عن شعر عبد الكريم ضياع جملة كبيرة منه اهتمت هذه الدراسة أيضا بتجميع الذي روي من شعره في بطون الكتب المختلفة.

Résumé:

Cette Enquête s' interesse à des caractéristiques les plus importantes de la critiques poétiques ;l'influence de la poésie par les différentes attitudes que la majorité des critiques poétiques portent , est souvent représentée dans leurs œuvres. le travail de Abdelkarim El nahshali (405 hidjri) a une grande attention parmi les etudes modernes qui s'intéressent à la classification des poèmes selon les nouveaux modèles de conception critique.

طرق النهشلي في شعره أغراضا كثيرة، بل إنه طرق مواضيع تهيبتها الشعراء وحازها، لكن وبضياع جملة شعره لم تصلنا إلا بعض أغراضه الشعرية مثل: الغزل والرثاء والمدح والوصف، وكان ذلك في بضع قصائد ومقطعات لم تكن كافية حتى تمكننا من تشكيل تصوّر متكامل لمميزات شاعريته، لكنها أعطتنا لمحة عن توجُّهاته الشعرية في تعامله مع أصناف الشعر؛ حيث فضّل بعض الأغراض لقيمتها الأخلاقية: كالزهد والحكمة، وأبغض أغراضاً أخرى ورفضها لتدنِّي الغاية الأخلاقية منها كغرض الهجاء الذي ينتهك فيه الشاعر أعراض الناس بالسَّب والإقذاع، ولم يُغفِل باقي الأغراض، فرأى أنها ما بين أمرين اثنين: إما هي شعر اللهو؛ كما هو حال أغراض الغزل والطرد وصفة الخمور، وإما هي شعر التكسب؛ الذي يمتهنه الشاعر لكسب المال مثل: غرض المدح، وقد انتقد النهشلي هذه الأغراض انتقادات أخلاقية صادرة عن روحه المحافظة(1).

فهل سار النهشلي وهو صاحب تجربة شعرية ضمن ما سطَّره في قوله النقدي حول شرعية أغراض من الشعر دون أخرى؟

إن الدارس لما تبقى من شعره يجد أنه اقتصر في نظمه على بعض الأغراض الشعرية دون أخرى وذلك لضياع جزء كبير من موضوعات ديوانه الشعري، ويعدّ من الأسباب المهمة أيضا توجهاتُه الأخلاقية التي ميزت تصوّره النقدي، حيث أدَّى رفضه لبعض الأغراض من الشعر إلى إعراضه عن النظم فيها، وهي التي صنفها في ما وصفه بشعر هو الشرّ- كله ممثلا في الهجاء الذي يَسْرُع فيه الشاعر إلى أعراض الناس ، وكذلك شعر التكسب.

أ- المـــدح:

عُدَّ المدح من بين الأغراض التي اهتمّ النهشلي بالنظم فيها، لكن لم يرد عن هذا الشاعر- فيما روي من أخباره- أنه تكسب بالشعر لأنه كان يرفض هذه العادة ويراها مُزرية بالشعر والشاعر، فكان عفيفا لا يقصد أحدًا بشعره"(2). لكنه لم يغفل جمالية هذا الغرض ولم يحصره جملة في نيّة التكسب بل نجِده يشيد بممادح بعض الشعراء كحسان بن ثابت الذي قال عنه: إنه جمع وجوه الممادح كلها في أسلوب جميل ومُعجب(3).

ونرى شعر النهشلي في المدح جرى على منوال الشاعر حسان بن ثابت وأضرابه، واهتم فيه بالتجويد والتحسين مع الاهتمام بتصوير المعاني الموحية التي أبرز فيها محاسن ممدوحيه، ومن هؤلاء "المنصور الصنهاجي" الذي وصفه بأمير الجود، وذلك في وصفه للهدية التي أوفدت إليه من حاكم مصر آنذاك، يقول فيها:[من الطويل]

هَنَّئْكَ أميرَ الجودِ خيرُ هَدِيَّة تَقدَّمها الإيمانُ واليُمنُ والفخـرُ

حيث يظهر تميّز النهشلي بذكائه في صوغ معانيه؛ فهو قبل ذكر الهدية ووصْفِها بأنها خير هدية اهتمّ بممدوحه الذي لقّبه بأمير الجود، وكأن لسان حاله يقول: أيها المنصور إن جودك فاق وسما عن كلّ جود وما هذه الهدية إلا تتويج لفضائلك.

واهتم في مواضع أخرى بالوقوف مطوّلاً عند خصال المنصور الصنهاجي كذكره مظاهر الهيبة والشجاعة التي تميز بها، وذلك في قصيدته التي اهتم بذكرها في كتابه الممتع(4)و فيها وصف مجلسه الذي تغشاه الهيبة ويعلوه الوقار، وصوّر فيه لِحَاظَ الرجال بالريبة التي تستوجب غضّ الطّرف في حضرة هذا الحاكم، يقول:[من الطويل]

ومَجْلسٍ مَوْفُورِالجلالةِ تَنْثَنِي عُيُون الوَرى عنه ويَنْبُو خِطَابُهَا
تَرى فيه رَفْعَ الطِّرْف خَفْضًا كأنَّما لِحَاظ الرِّجال رِيبَة يُسْتَرَابُهَا
نَثَرْتُ به غُرَّ المعاني كأنها قلائِد درَّزَانٍ جيـدًا سخَابُهَا

وفي حسن تخلص ينتقل إلى وصف قصيدته؛ فيشير إلى أنه ألقاها في هذا المجلس وكأنها قلائد الدرَّزان في دقة صوغ معانيها ثم يذهب إلى وصف هيبة المنصور التي سطرتها شجاعته، وذكره رهبة الأعداء وخشيتها من سطوته، يقول:

هُمَامٌ دعَتْ كفَّاه قَاصِيَة العُلى فلبَّاهُ مِنْها صَفْوُهَا ولُبَابُهَا
فمـن يُولـه سَعْدَا يَنَلْه ومن يُرِدْ به شِقْـوَةً يخلع عليه ثيابها

ب- الغــزل :

وغرض الغزل عند النهشلي داخل تحت شعر اللهو الذي يُتظرّف بمعانيه وصوره، و طبيعة الغزل في الشعر العربي -في رأيه- أن يكون الرجل هو المُتَغزل والمتاوت في طلب وصال المحبوبة، وهو خلاف الذي عُرف عن العجم في تصويرهم للمرأة بأنها هي الطالبة

لوصل الرجل لا المطلوبة.(5)

أما عن نظم النهشلي في الغزل فتجلى في حديثه عن طيف المحبوبة، لما جرى في شعره على عادة العرب في ذكره زورة خيال المحبوبة، والذي يتلقّاه الشاعر – النهشلي- بالبشر والترحاب ويصف مشقة ما يلاقيه هذا الطيف في سُراته إليه؛ فهو يستتر مخافة أعين الواشين التي تراقبه حتى وإن كان طيفًا لا جسد له، وهذه المحبوبة اعتادت وقت الزيارة في شكلها الطيفيّ، وصوَّرها النهشلي في تصوير بديع لما قال عنها أنّها لم تخش نميمة الحلي الذي يحدث أصواتا إذا تحركت وذلك لأنها طيف لا أبعاد له في الواقع، يقول: [من الكامل]

أهلاً به من زائرٍ معتاد والليلُ يرفلُ في ثيَاب حِدادِ
يتجاوزُ الرَّاياتِ يخفقُ ظلّها ويشقُّ مُلْتفَّ القَنَا المنآد [...]
معتادة أَمِنَتْ نمائم حليها والحلي نمَّامٌ على العُوَّادِ

ويصوّر النهشلي في أبيات أخرى لقاءه بطيف المحبوبة التي كان له معها عهد جميل ويصف جمالها، حيث شبَّه محيَّاها بالصبح الذي سرى تحت جنح الليل ليزوره، فأنَّى له أن يستتر عن أعين الواشين، وهي ترفل في أنواع من المسك والقطر معارضة أنفاس الرياح بخَلوق " تحمَّر الوردُ مِنْه وانتشى الزَّهَرُ"، ووصف زورة هذا الخيال بالسريعة وذلك خوفا من أعين الواشين التي تراقبه، يقول: [من البسيط]

لم أدْرِ مَغْنَاك لولا المسكُ والقُطُرُ وزَوْرَةٌ لِمُلِمٍّ عهدُه عفرُ
سرى يُعارضُ أنفاس الرياح بما تحمَّر الوردُ مِنْه وانتشى الزَّهَرُ
يُخفي بثوبِ الدُّجى مَسْرَاهُ مستَتِرًا ومن تَقَنَّعَ صُبْحًا كيف يَسْتَتِرُ؟

وتطرق إلى غرض الغزل في قصائد نسجها على نمط القصيدة العربية القديمة لما توَّج قصيدته في المدح بموضوع غزلي اهتم فيه بتصوير حال المتيّم الذي فارق الأحبّة، وحبهم في صدره ليس بزائل ولا متبدّل، حيث استعمل في ذكره للحبيبة كنية "ابنة مالك"، فقد تكون هذه المحبوبة امرأة أحبها النهشلي وأعرض عن التصريح باسمها على عادة العرب في إعراضهم عن ذكر أسماء نسائهم، أو أنها رمز استعمله ليكون بطل مقدمته الغزلية، يقول: [من الكامل]

يشكـو هـواكِ إلى الدمـوع متيَّمٌ لـم يبْـقَ فيه للعـزاءِ نَسيـسُ
لـولا الدموعُ تَحَرَّقَتْ من شوقه يـومَ الـوَدَاعِ قِبابُكم والعيسُ
دَرَكُ الزمـان وحبّك ابنـة مـالكٍ فـي الصّدْر لا خَلَقٌ ولا مدْروسُ

ج- الوصـف :

ولعل أهم الأغراض التي وصلنا حظ وافر منها في شعر النهشلي هو الوصف الذي اهتم به وأولاه عناية خاصة؛ حيث أبدع في صوغه لمعاني الجمال الخارجي لبيئة المغرب العربي وساعده في ذلك أسلوبه الشعري الذي يعتمد فيه على جزالة اللفظة مع دقة نسجها وتأليفها في تراكيب محكمة ومبهرة، وهو ما يلمحه القارئ لشعره، ويعود السبب في اهتمام النهشلي بالصنعة اللفظية إلى تفضيله مذهب علماء الناس بالشعر الذين يرون ضرورة التحسين والتجويد الذي به يتميّز الكلام المنظوم ويتفضَّل عن المنثور(6).

فمن موصوفاته المناظر الجميلة التي تميزت بها مرابض الملوك، مثل تذكُّره لإحدى رَوْحاته إلى قصر من هذه القصور الذي اهتم فيه بوصف النهر الخضرم الذي كان يزخر بصور الجمال، فبدأ بصورة تلاطم الموج فيه والتي شبهها بصراع الفحول من الإبل التي استولى عليها الغضب، ثم ينتقل هذا النهر من حالة الهيجان تلك إلى حالة من الهدوء، وهي في الواقع حركة مياهه بين المدّ والجزر، يقول:[من المتقارب]

سلامٌ على طيبِ رَوْحاتنا إلى القَصْرِ والنَّهْرِ الخِضْرِمِ
إلى مُزْبِدِ المَوْجِ طامِي العُبَا ب يقذِفُ بالبَانِ والسَّاسَم
تخالُ به قَطَمًا مُقْرَمًا يكرُّ على قَطَمٍ مُقْرَمِ
ويَسْجُو فيَسْحَبُ في ذائِلٍ يَمانٍ تَسَهَّمَ بالأنجُمِ

ثم يذهب النهشلي إلى وصف ريح الشمال التي تغازل أمواج هذا النهر فيشبهها في رقتها وإحداثها لذاك الرّشَاش من ماء النهر بنفث الراقي على كبد المريض المغرم:

كأنَّ الشمال على وَجْهِهِ بها سَقَمٌ وهي لَمْ تَسْقَمِ
ضعيفة رَشٍّ كَنَفْثِ الرُّقَى على كبد المُدْنَف المُغْرَمِ

وقد أضفت موسيقى بحر المتقارب لمسة جمالية زادت من حيويَّة الوصف؛ فتوافق

تصويره مع حركية الإيقاعات أكسب الصور الشعرية واقعية وتمثُّلا في ذهن السامع.

واختار النهشلي وصف بعض الحيوانات مثل الخيل الأصيلة التي اجتمعت في يوم مهيب، يقول: [من الطويل]

هَنَّتْكَ أميرَ الجودِ خيرُ هَدِيَّة تَقدَّمها الإيمانُ واليُمنُ والفخرُ

بيومٍ تَسامَى فيه وَرْدٌ مُسوَّمٌ وأَشْقَريعْبوب وسابحة حِجْرُ

حيث استعرض في وصف هذه الخيل قدرته اللغوية وفرادة أسلوبه في التحسين والتجويد؛ فهذه الهدية اشتملت على ألوان مختلفة من الخيل الأصيلة، فمنها "الدهم" أو السود وشبَّهها النهشلي في سواد لونها إلا من بياض التحجيل الذي يرتفع إلى الفخذ من قوائمها، وكأنها تلبس رداءً من الليل في تصوير لشدة سوادها، لكنها ترفعه عن بعض النواحي؛ أي عن قوائمها التي زيَّنها التحجيل ببياض ناصع، وتجرُّه من نواح أخرى في إشارة إلى سواد ذيل الفرس الذي يقارب في صفته ذيل الثوب المنجر من وراء لابستِه:

ودُهْمٍ كأنَّ اللَّيلَ أَلْقَى رِداءَهُ عليه فَمَرْفوعُ النَّواحي و مُنْجَرُّ

ومن كرامات هذه الخيل أن قد قبَّلها ضوء الصباح، وذلك في إشارة إلى رمز أصالتها وهو الغرّة أوالبياض الذي يكون على جبين الفرس، ولم ينس النهشلي بياضا آخر يكون على طرف الأنف هو الرُّثمة؛ فهي إذن "بلق" تقاسمت لون الدجنّة في شدة سوادها، ولون الضحى في شدة بياضه:

وقَبَّلها ضوءُ الصَّباحِ كرامةً فهُنَّ إلى التَّحْجيلِ مَرْثومةٌ غُرُّ

وبُلْق تقاسمْنَ الدُّجنَّةَ والضُّحى فمن هذه شَطْرٌ ومن هذه شَطْرُ

ووصف النهشلي حيوانات أخرى منها "الفيل" الذي« أغرب ما شاء»(7) في وصفه، ووصف البحاتي « فجاء بالبديع كله وأدقّ الصنيع وأجلّه»(8)، وكان لـ "حمار الوحش" نصيب من شعره، حيث صوَّره في شكل بديع أبرز فيه تفاصيل خلقه العجيب الذي أَشْبه فيه الخيل لكنه اختلف عنها فهو حيوان وحشيّ لم يدمَّث له ظهر، يقول:[من الطويل]

وأَخْرَجَ صَلْصالٍ لأخْدرَ يَنْتَمِي أمينَ الفُصوصِ لم يُدَمَّثْ له ظَهْرُ

ووصف لونه الذي امتزج فيه الأسود والأبيض لما صاغ هذا الإمتزاج أشكالا شبّهها النهشلي بالعيون الكحل أوالتّجل أو بليل وصباح "فيه حطّها قدر"، وقد أشبه هذا الحيوان الخيل في شكلها لكنه تميز عنها بهندسة حلته العجيبة:

كأنَّ العيونَ الكُحلْ صِيغَتْ بجلدِهِ لـه رُقبًا فهي مَشْطورَةٌ خُزْرُ
تَولَّعَ منه الجِلدُ حتـى كأنَّمَـــا صبـاحٌ وليلٌ فيه حَطَّهُا قَدرُ
تعاطى لباسَ الخيل فاخْتَالَ راكضًا لها حُلَّةٌ لا تدَّعِي لبْسَها الحُمْرُ

هذا إذن ملخص ما تناوله عبد الكريم في شعر الوصف الذي لم يصلنا منه الشيء الكثير، لكن فيما وصلنا من شعره سبيل للكشف عن اهتمامه الواضح بهذا الغرض، وعلى العموم لم يخرج النهشلي كما رأينا في نظمه للشعر عمَّا سطّره في تصوّره النقدي لأصنافه، ورغم ضياع جملة نتاجه الشعري إلا أن ملامح ما وصلنا من شعره كانت كفيلة لتطلعنا على اتجاهه الأخلاقي في تصنيفه للشعر وكذا في نظمه؛ حيث رفض النظم في أغراض رآها تحمل أسباب الشرّ كله، كغرض الهجاء الذي يَسْرُع فيه الشاعر إلى أعراض الناس، في حين نظم في أغراض أخرى ملتمساً فيها سمات الخيريّة، أو تحقيقها للغاية المنوطة بالشعر؛ وهي تجسيد الجمال وتصويره بغية إمتاع المتلقي وإحياء الحسّ الجمالي فيه.

- شعر عبد الكريم النهشلي:

1- الغــزل :

نظم عبد الكريم في الغزل بل عُدَّ في ركاب الشعراء الغَزِلين؛ فما وصلنا قطع من شعره في ذكر زورة الطيف(طيف المحبوبة)، يقول: [من الكامل] (9)

أهــلاً به مــن زائـرٍ معتـــاد والليلُ يرفلُ في ثيَاب حِدادِ
يتجاوزُ الرَّاياتِ يخفــقُ ظلّها ويشقُّ مُلْتفَّ القَنَا المنـآدِ(10)
أنَّى اهتدَى في ظِلِّ أخضرَ مُغْدِفٍ حتى تيمَّمَ بالعَـرَاءِ وسـادي
بأرَقَّ من كبِدِ المتيَّمِ مُقْدِمًا في حيث ينبو الحارث بن عُبَادِ(11)
معتـادة أَمِنَتْ نمـائم حليهـــا والحلي نمَّامٌ على العُوَّادِ
وكأنمـا ياقُوتُهـا فـي نَحْرِهـــا متـوقّدٌ مما يُجِنُّ فُـؤَادي

وقال عبد الكريم بن إبراهيم: [من البسيط] (12)

لم أدْرِ مَغْنَاك لولا المسكُ والقُطُرُ وزَوْرَةٌ لِمُلِمٍّ عهدُه عفرُ(13)
سرى يُعارِضُ أنفاس الرياح بما تحمَّر الوردُ مِنْه وانتشى الزَّهَرُ
يُخفي بثوبِ الدُّجى مَسْرَاهُ مستَتِرًا ومن تَقَنَّعَ صُبْحًا كيف يَسْتَتِرُ؟
كأَنَّ أعينَ وَاشيه تُرَاقِبُهُ فيه فيدمج أخبارِي فَيَخْتَصِر

وقال: [من الكامل] (14)

يشكو هواكِ إلى الدموع متيَّمٌ لم يبْقَ فيه للعزاءِ نَسيسُ(15)
لولا الدموعُ تَحَرَّقَتْ من شوقه يومَ الوَدَاعِ قِبابُكم والعيسُ
دَرَكُ الزمان وحبّك ابنة مالكٍ في الصّدْر لا خَلَقٌ ولا مدْروسُ
فكأنه ما شَادَهُ المنصورُ من رُتَبِ العُلى واختاره باديس(16)

2- الرثاء:

ومما وصلنا من مرثيات النهشلي رثاؤه صاحب خراج المغرب آنذاك "عيسى- بن خلف"، يقول فيها:[من الطويل] (17)

منايا سَدَدْت الطُّرق عنها ولم تَدَع لها من ثنايا شاهق متطلَّعا
فلمَّا رَأَتْ سُورَ المَهابَة دُونَها عليك ولَمَّا لم تَجِد فيك مَطْمَعا
تَرَقَّت بأسبابٍ لطَافٍ ولم تكُد تُوَاجِهُ مَوْفورَ الجَلالَة أَرْوعا
فجاءتك في سرِّ الدَّواء خفيَّةً على حين لم تحذر لداءٍ تَوقُّعا

3- المدح:

امتدح عبد الكريم الملوك، ومن ذلك مدحه المنصور الصنهاجي: [من الطويل](18)

ومَجْلسٍ مَوْفُورِ الجلالةِ تَنْثَنِي عُيُون الوَرى عنه ويَنْبُو خِطَابُها
تَرى فيه رَفْعَ الطِّرْف خَفْضًا كأنَّما لِحَاظ الرِّجال رِيبَة يُسْتَرَابُهَا
تَثَرْتُ به غُرَّ المعاني كأنها قلائِد درَّزَانٍ جيدًا سخَابُها
إذا حُكْتُهَا ظلّت نواسِجُ عَبْقَرٍ حَواسِدَ مَدْسُوسًا إليَّ عِتَابُهَا
على ملك تُهْدَى إلى مَكْرُمَاتِه عقائِل أشعار يَرِفُّ شبابُها

هُمَامٌ دعَتْ كفَّاه قَاصِيَة العُلى فلبَّاهُ مِنْها صَفْوُهَا ولُبَابُهَا
وكيف بها إلا عليه طريقُها وأين بهَا إلا إليه ذهابُهَا
إذا وَرَدَ المنصورُ أرضًا تهلَّلَتْ وجوهُ رُبَاهَا واسْتَهَلَّ ربَابُها(19)
إذا أغْبرت الآفاق بَلَّتْ سَمَاؤُهُ ثراها بأيْدٍ ما يَجِفُّ رغَابُهَا
كأن العوَادى الزُّرْقَ عنه مَضَاؤُهَا وخُضْرالسحابِ من نداه عُبَابُهَا
فمن يُوله سَعْدَا يَنَلْه ومن يُرِدْ به شِقْوَةً يخلع عليه ثيابها
يحل ثِياباً حلَّها البِر والتُّقَى ويَخْضَرُّ من بَعْدِ اصفرارٍ جنابُها
وما بلدٌ لم يُؤْتِكَ الطوعَ أهلُها بآمنةٍ إلا تُدَك هِضَابُهَا
تُحَطُّ بها الأُسْدُ الضَّوارِي خَوَاضِعًا لَدَيْكَ ولو أنَّ الكواكبَ غابُها
ولوأنها قد غاضَبَتْكَ غَيْرَ مُجِيبة أجابَتْكَ من تَحْتِ السيوفِ رِقَابُهَا
تَهَابُك آفاتُ الخُطُوبِ فَتَنْتَهِي ولا تنتهي عن خُطَّة فتهابُها
رِماحُك أَحْنَاء الضلوع ثِقَافُها وخَيْلُكَ تَأْمُور النفوسِ شرابها(20)
ترى كُلَّ نَهْدٍ أعْوجيّ حجولـه كما مَحَتْ الزرق العَوالي حجابُها(21)

ومن شعر عبد الكريم في ذكر الهيبة والبأس والشجاعة قوله: [من الطويل] (22)

وملومةٍ قد لثَّمَ النَّقْعُ وجْهَهَا وأثْقَلَها حملُ الوشيجِ المُقَوَّمِ
تَثَاقَلُ في طَوْدٍ من الخيْلِ أَرْعَنٍ وتسبحُ في بحرٍ من البِيض مُفْعَمِ
رَدَاحٌ كما مادَتْ رداح خَريدةٌ عروسُ المَنَايَا زَيْنُهَا نُقَطُ الدَّمِ(23)

ومن المتفرّقات التي وصلتنا و يرجَّح فيها أنَّها في المدح [من المتقارب](24)

يُتوِّجُ أرْماحَهُ بالرُّؤوسِ و يَخْضِبُ أسيافَهُ بالدَّمِ

4- الوصف:

لطالما اقترن مديح النهشلي للملوك بوصف مظاهر ومناظر الطبيعة، وامتزج غرض المديح عنده كثيرا بغرض الوصف؛ فلا تراه يفتأ يذكر الممدوح حتى يُعرّج على وصف مجلسه أو محيطه، ومن بديعه في ذلك قوله: [من المتقارب] (25)

سلامٌ على طيبِ رَوْحاتنا إلى القَصْرِ و النَّهْرِ الخِضْرمِ(26)

إلى مُزْبِدِ المَوْجِ طامِي العُبَا ب يقذِفُ بالبَانِ والسَّاسَم(27)
تخالُ به قَطَمًا مُقْرَمًا يكرُّ على قَطَمٍ مُقْرَمِ(28)
ويَسْجُو فيَسْحَبُ في ذائِلٍ يَمانٍ تَسَهَّمَ بالأَنْجُمِ
كأنَّ الشمال على وَجْهِهِ بها سَقَمٌ وهي لَمْ تَسْقَمِ
ضعيفة رَشٍّ كَنَفْثِ الرُّقَى على كبد المُدْنَف المُغْرَمِ
إذا دَرجَتْ فوقهُ دَرَجَتْـ ـه في حَبَكِ الزَّرَدِ المحْكَمِ(29)
و قد جَلَّلَتْهُ بأَوْرَاقِها فروعٌ غَذَتْها نِطافُ السَّمِ
علَتها الحمامُ بتَغرِيدِها كما سجَعَ النَّوْحُ في مَأْتَمِ
كأنَّ شعاعَ الضُّحَى بَينها على السَّوسَن الغَضِّ والخُرَّمِ(30)
وشائع من ذَهَب سائل على خسروَانِيَّةٍ نُعَمِ
رُباً تَتَفَقَّأُ من فَوْقِها عَزَالي الربيع لهَا المُرْهِمِ(31)
على كل محبية خلة تسَدَّى على جَدْوَلٍ مفعَمِ
كما فتل الوَقْفَ صَوَّاغُه وكالأرقم انْسَابَ للأَرْقَمِ(32)

وقال عبد الكريم يصف الماجل في إحدى الأُمْسِيات: [من البسيط] (33)

يا رُبَّ فتيان صِدْق رُحْتُ بَيْنَهُمُ والشمس كالدَّنَفِ المعشوقِ في الأُفُقِ(34)
مَرْضَى أَصَائلُها حَسْرى شَمائلُها تُرَوِّح الغُصن المَمْطُور في الوَرقِ(35)
مُعاطياً شَمْسَ إبريقٍ إذا مُزِجَتْ قلَّدَتْ عِقْدَ مرجان من النَّزَقِ(36)
عن مَاجِلٍ طَافِحٍ بالماءِ مُعْتَلِجٍ كأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ من الحَدَقِ(37)
تَضُمُّهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا وَتَفْرُقُهُ فالماءُ ما بَيْنَ مَحْبُوسٍ ومُنْطَلِقِ
مِنْ أَخْضَرٍ ناضِرٍ والطَّلُّ يَلْحَقُهُ وأَبْيَضٍ تَحْت قَيْظِيَّ الضُّحَى يَقَقِ(38)
تهزُّهُ الرِّيح أحيانًا فيمْنَحُهَا للزَّجْرِ خَفْقَ فؤادِ العاشقِ القَلِقِ
كأنَّ حافاتِهِ نُطِّقنَ من زَبَدٍ مَناطقًا رُصِّعَتْ مِنْ لُؤْلُؤٍ نَسَقِ
كأن قُبَّتَهُ مِن سُنْدُسٍ نَمَطٍ حسناء مَجْلُوَّة اللبَّاتِ والعُنُقِ(39)
إذا تَبَلَّجَ فَجْرٌ فَوقَ زُرقَتِهِ حسِبْتَهُ فرساً دَهْماءَ في بَلَقِ(40)

أولازَوَرْداً جَرَى في مَتْنِهِ ذَهَبٌ فَلاح في شارقٍ من مَائِهِ شرقِ(41)
عَشِيَّة كُمِلَتْ حُسْناً وساعَدَها ليلٌ يُمَدِّدُ أطناباً على الأُفُقِ
تجلى بغُرَّةٍ وضَّاح الجَبِينِ له ما شئتَ من كَرَمٍ وافٍ ومن خُلُقِ

ووصف النهشلي الحيوان فتعددت موصوفاته منه، ومن ذلك وصفه خيلا أصيلة اجتمعت في يوم مهيب، يقول: [من الطويل] (42)

هَنَّتْكَ أميرَ الجودِ خيرُ هَدِيَّة(43) تَقدَّمها الإيمانُ واليُمنُ والفخرُ
بيومٍ تَسامَى فيه وَرْدٌ مُسوَّمٌ وأَشْقَر يعْبوب وسابحة حِجْرُ(44)
ودُهْمٍ كأنَّ اللَّيلَ أَلْقَى رِداءَهُ عليه فَمَرْفوعُ النَّواحي و مُنْجَرُّ(45)
وقَبَّلها ضوءُ الصَّباحِ كرامةً فهُنَّ إلى التَّحْجيلِ مَرْثومةٌ غُرُّ(46)
وبُلْق تقاسَمْنَ الدُّجنَّةَ والضُّحى فمن هذه شَطْرٌ ومن هذه شَطْرُ
ولاحِقَةُ الأقْرابِ لو جازَتِ الصَّبا كَبَتْ خَلفَها واعْتاقَ ريحَ الصَّبا حَسْرُ(47)
كرائمُ مكتومٌ أبوها ومذهب يلوح عليهنَّ المُشَابِهُ و النجرُ
مُجزَّعةٌ غرٌّ كأنَّ جُلودَها تجزَّع فيها اللُّؤلُؤُ الرَّطْبُ والشَّذرُ(48)
وصُفْر كأنّ الزَّعفران خضَابُها وإلاَّ فمن ماء العقيقِ لها قِشْرُ
وشُهْبٍ من اللُّجِّ استُعيرَتْ مُتُونُها ومن صُوَرِ الأقْمارِ أَوْجُهَا قُمْرُ(49)
إذا هَزَّها مَشيُ العِرِضنة عارَضَت قُدودَ العذارى هزَّ أعْطافَها سُكْرُ(50)
عليها السُّروجُ المُحْكَمَاتُ إذا مشَتْ بها الخيلاءِ الخيلُ رَنَّحها كِبْرُ
سوابقُ بَشَّرْنَ الرَّبيعَ مُنَوَّرًا عليك يباهيه ربيعكَ والنَّشْرُ

ووصف النهشلي الفيل فقال وأغرب ما شاء(51): [من الطويل]

وأضخمُ هِنْديِّ التِّجار تُعِدُّه ملوكُ بني ساسانَ إن نابها دهرُ(52)
من الورق لا من ضربه الورق ترتعي أضاح ولا من ورده الخمس والعشر(53)
يَجِيءُ كطَوْدٍ جائلٍ فوقَ أربَعٍ مُضَبَّرَةٍ لُمَّتْ كما لُمَّت الصَّخرُ(54)
له فَخِذَان كالكَثيبَيْن لُبِّدا وصَدرٍ كما أَوْفى من الهَضْبَة الصَّدرُ
ووَجْه به أنفٌ كَراوُوق خَمرَةٍ يَنالُ به ما تُدْرِكُ الأَنْمُلُ العَشْرُ

وجَنْبَانِ(55) لا يَرْوي القليبُ صَداهُما ولو أنَّه بالقاعِ مُنْهَـرتٌ حفرُ(56)
وأُذنٍ كنِصْفِ البُرْدِ تَسمِعُهُ النَّدَا خَفِيًّا وطَرْفٌ يَنْفُضُ(57)الغَيبَ(58)مُزْوَرُّ
ونابانِ شقا لا يُريد (59) سواهُما قَناتَيْنِ سَمْرَاوَيْنِ طَعْنُهُمَا نَثـرُ(60)
له لَوْنُ ما بين الصَّباحِ و لَيْلِهِ إذا نَطَقَ العصْفورُ أو غَلَّسَ(61) الصَّقرُ

ووصف البخاتي، وجاء بالبديع كلِّه وأدقِّ الصنيع وأجلِّه فقال(62): [من الطويل]

ومن خير بُخْتيَّاتِ كسرى بن هرمز فوالج يزهيها التأوّدُ و الخطرُ(63)
سفائن أوصيغَ السفين مثالها فلم يبقَ إلاَّ أن يموجَ بها بحـرُ
عليها من الديباجِ كلُّ مصوَّر هريق به الإفرند واتَّقد التِّبْرُ(64)
يطأن الربيع الغضَّ في غير حينه مدارع لم يفتقْ شقائقها القطرُ(65)

ووصف حمارًا مجزَّعًا(66)؛ أي حمار الوحش(67)، حيث قال: [من الطويل]

وأَخْرَجَ صَلْصالٍ لأخْدرَ يَنْتَمِي أمينَ الفُصوصِ لم يُدَمَّثْ له ظَهْرُ(68)
كأنَّ العيونَ الكُحْلَ(69)صِيغَتْ بجلدِهِ له رُقبًا(70)فهي مَشْطورَةٌ خُزْرُ
تَولَّعَ منه الجِلدُ حتى كأنَّما صباحٌ وليلٌ فيه حَطَّهُما قَدرُ
تعاطى لباسَ الخيل فاخْتَالَ راكضًا لها حُلَّةٌ لا تدَّعِي لبْسَها الحُمْرُ
كأنَّ الحِجَارَ الصُّلَّبِيَّةَ قُدِّرَتْ فَجَاءَتْ لها وفقًا حوافرُهُ الحُفْرُ
إذا اخْتَالَ واسْتَولى به رَدَيَانُهُ تَوالى صَفِيرٌ منه تَرْجِيعُهُ نَبْرُ(71)

ومن شعر عبد الكريم في وصف الطبيعة ما نقله عنه ابن حمدون في التذكرة، يقول:« وقال عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي المغربي وجمع أنواعًا من التشبيه وأوردتها متصلة لأحفظ نظمها البديع من التصديع»:[من الخفيف](72)

بارقُ في خلالِ غيمٍ دَلُوحٍ صَدَعَ الليلَ كالصباح الصَّديعِ(73)
بات يُزْجِي سَوَامَهُ من قطيعٍ مكفهرٍّ مثل السَّوام القطيع(74)
فهو فيها كطرةِ المطرف المذ هب أوسَلَّةِ الحسام الصنيع(75)
قائمًا ينثر الحباب على ور د خدودِ الربيعِ نَثْرَ الدموع(76)
في فضاءٍ مضمخٍ من عبيرٍ وهواءٍ مُخَلَّقٍ من ردوع

يعتلي الفجرُ فيها ذا حياءٍ وتمر الرياحُ ذاتَ خضوع
في رياحينَ تأخذ الريح عنهن معاني جَيْبِ العروسِ الشموع(77)
شجرٌ ذاب فوقه القطر فاختا ل من الحُسْنِ في رداءٍ وشيع
وفياءُ الرياض في توشيع ووشاح السماءِ في تجزيع
وأصيلٌ معصفر الجيب يجري ماؤه جري أدمع التوديع
خففت فوقه الصَّبا وأدارت لحظها الشمسُ فيه تحت خشوع

وللنهشلي شعر يصف فيه ما يحدثُ عند اندفاع الجَدْوَل: [من المنسرح] (78)

قد صاغ فيه الغمامُ أدْمُعَهُ دُرًّا وروَّاه جدولٌ غَمْرُ(79)
تَجيشُ فيه كأنَّما رَعَشت إليك منه أنامل عَشْرُ

* ومما وصلنا من شعر النهشلي ذكره الغربة والحنين إلى الأوطان:[من الطويل] (80)

أَواجِدَةٌ وجْدِي حَمائِمُ(81) أيْكَةٍ تميلُ بها مَيْلَ التَّزِيفِ غُصُونُهَا(82)
نَشَاوى وما مَالَتْ بخَمْرٍ رِقابُها بواكٍ وما فاضَت بدمعٍ عيُونُها
أَعيدي حماماتِ اللّوى إنَّ عندنا لشَجوِكِ أمثالاً يعودُ حَنينُها
وكلُّ غِريبِ الدَّارِ يَدْعُو هُمُومَهُ غرائِبَ محسودٌ عليها شجونُها

(1)- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1: 1422هـ-2001م، 1 / 106.

(2)- عبد الكريم النهشلي: الممتع في صنعة الشعر، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، ص: 8.

(3)- عبد الكريم النهشلي: اختيار الممتع ، 150/1.

(4)- المرجع نفسه ، 1 / 231 ، 232 .

(5)- ابن رشيق القيرواني: العمدة ، 144/2.

(6)- المرجع نفسه، 82/1..

(7)- ابن رشيق القيرواني: انموذج الزمان، ص: 144.
(8)- المرجع نفسه، ص: 142، 143.
(9)- أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1417هـ،1997 م، 106/2.
(10)- (أ و د): الأَوَدُ: العَوَج.- الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1: 1424هـ، 2003 م، 98/1.
(11)- الحارث بن عُباد: حكيم جاهلي، شاعر شجاع في أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال. توفي نحو 50 ق.هـ.- أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب، 106/2.
(12)- المرجع نفسه، 106/2.
(13)- (ق ط ر): القُطُرُ: العود الذي يُتَبَخَّرُ به.- جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، 5/ 281.
(14)- ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان، ص:145.
(15)- (ن سّ): النَّسيس: البقيّة من الشيء، وأصله بقيّة الرُّوح، العين، 217/4 .
(16)- المنصور بن بلكين وباديس ابنه، من الملوك الصنهاجيين الذين اتصل بهم النهشلي.
(17)- أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب، 204/1.
(18)- عبد الكريم النهشلي: اختيار الممتع، 231/1، 232.
(19)- (ر ب): الرباب: السحاب الذي فيه ماء. العين، 2/ 63.
(20)- (أ م ر): التأمور: النفس وحياتها. لسان العرب، 106/1.
(21)- (ع و ج): أَعْوَجَ فرسٌ سَابِق رُكِبَ صغيرًا فاعْوَجَّتْ قوائمه. اللسان، 457/4.
(22)- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: 469/2.
(23)- (ر د ح): امرأة رَدَاحٌ: عَجْزَاء ثقيلة الأوْرَاك تامَّة الخَلْق. لسان العرب، 57/3.
- (خ ر د): جارية خريدة ؛ أي بِكْر. لسان العرب، 237/2.
(24)- ابن رشيق القيرواني: قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، تح: منيف موسى، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، ط1: 1991 م، ص: 71.

(25)- أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب، 173/2، 174.
(26)- (خ ض ر م): الخِضْرم: كثير الماء. لسان العرب، 270/2.
(27)- (س س م): الساسم: شجر أسود(مُختلَف في نوعه). لسان العرب، 283/3.
(28)- (ق ر م) الفحل الذي يُتْرَك من الركوب والعمل ويُودَعُ للفِحْلَة. اللسان، 243/5.
- (ق ط م): القطم: الغضبان، لسان العرب، 287/5.
(29)- (ز ر د): الزرد: حِلَقُ المِغْفَر والدّرع. لسان العرب، 177/3.
(30)- (خ ر م): الخُرَّمُ: نبات الشجر. لسان العرب. 247/2.
(31)- (ع ز ل): العَزالي: جمع العَزْلاَء، وهو فم المزادة الأسفل، والمقصودة بها-في الشعر- اتساع المطر واندفاقه. لسان العرب، 329/4.
(32)- (ر ق م): الأَرْقَمُ من الحيَّات الذي فيه سواد وبياض. لسان العرب: 109/3.
(33)- أبو إسحاق الحصري: زهر الآداب، 183/1، 184.
(34)- (د ن ف): دَنِفَتِ الشمسُ إذا دنت للمغيب واصفرَّت. لسان العرب، 418/2.
(35)- (ر و ح): غصن مَريحٌ ومَرُوحٌ: أصابته الريح. لسان العرب، 140/3.
- (م ط ر): مَمْطورٌ ومَطِيرٌ: أصابه مطر. لسان العرب، 67/6.
(36)- (ن ز ق): خفة في كل أمر وعجلة. لسان العرب ، 171/6.
(37)- (ع ل ج): واعْتَلَجَ المَوْجُ إذا الْتطَمَ . لسان العرب، 405/4.
(38)- (ي ق ق): أبيض يَقَقٌ ويَقِقٌ: شديد البياض ناصعه. لسان العرب، 519/6.
(39)- (ل ب ب): اللُّبَّة: وسط الصدر والمنحر، والجمع لبَّاتٌ. لسان العرب، 468/5.
(40)- (ب ل ق) البَلَقُ: سواد وبياض أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. اللسان، 247/1.
(41)- (ش ر ق): شرِقَ؛ إذا اشتدَّت حُمرته بدمٍ أو بحسنِ لونٍ أَحْمَر. العين، 2/ 326.
(42)- ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان، ص: 141، 142.
(43)- يُرجَّح أنها الهدية التي وردت على المنصور بن بلكين الصنهاجي من مصر سنة 384هـ. المرجع نفسه، ص:141، 142.

(44)- (ع ب ب) اليعبوب: الجدول الكثير الماء الشديد الجرية، وبه شُـبِّه الفرس الطويل اليعبوب، لسان العرب، 238/4.

- (ح ج ر) الحِجْرُ؛ الفرس الأنثى وأحْجَارُ الخيل: ما يُتَّخَذُ منها للنَّسْل. اللسان، 30/2.

(45)-(د هـ م) الدُّهْمَةُ: السواد، يكون في الخيل والإبل وغيرها. لسان العرب، 424/2.

(46)- (ر ث م) الرُّثْمة: بياض في طرف أنف الفرس. لسان العرب، 34/3.

(47)- هذه الأبيات 6 و7 و13 أوردها ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، 252/5.

(48)- (ش ذ ر) الشذر: صِغارُ اللؤلؤ، والشذر قطع من الذهب. لسان العرب، 411/3.

(49)- في التذكرة الحمدونية : [...] ومن طُرَرِ الأقْمَارِ أوجُهُها القُمْرُ. 252/5.

(50)- (ع ر ض ن): العِرَضْنَة الاعتراضُ في السَّير من النَّشَاطِ. لسان العرب، 307/4.

(51)- ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان، ص: 144.

(52)- في العمدة: إن رابَها أمر، 296/2، وفي التذكرة: إن رابَها دَهْرُ. 266/5.

(53)- في التذكرة الحمدونية: لا من ضربة.

- في العمدة: ولا من ضربه

- في العمدة والتذكرة: أضاخ

(54)- (ض ب ر) مُضَبَّرة: شِدَّة تَلْزِيز العظام واكتناز اللحم. لسان العرب، 103/4.

(55)- في النهاية: وجُبَّان. ابن عبد الوهاب النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، تح: محمد رضا مروة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1: 2004م، 188/9.

(56)- (هـ ر ت): مُنْهَرَت: واسع . لسان العرب، 324/6.

(57)- في العمدة: يَنْقُضُ.

(58)- في نهاية الإرب: العَيْبَ.

(59)- في العمدة: لا يُرِيك

(60)- في العمدة: نَتْرُ، وفي نهاية الإرب: بَتْرُ.

- (ن ت ر): النَّتْرُ: الجَذْبُ بِجَفاء، لسان العرب، 134/6.

(61)- في نهاية الإرب: صَوَّتَ، وفي التذكرة الحمدونية: غَرَّدَ.

(62)- ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان، ص: 142، 143.
(63)- (ب خ ت): البُخْتُ والبُخْتيَّةُ: دَخِيل في العربية، أعجميّ مُعَرَّبٌ، وهي الإبل الخُرسانيَّة، تُنْتَجُ من بين عربيةٍ وفالجٍ. لسان العرب، 168/1.
(64)- (هـ ر ق): هريق: هَرَقْتُ مثل أرَقْتُ. لسان العرب، 328/6.
(65)- (د ر ع): مدارع: بمعنى الغضَّ. لسان العرب، 377/2.
(66)- ابن رشيق القيرواني: أنموذج الزمان، ص: 143.
(67)- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية ، 254/5.
(68)-(خ ر ج) أخْرَج: الذي لون سواده أكثر من بياضه كلون الرماد. اللسان، 237/2.
- (ص ل ل) صلصال: الحادُّ الصَّوت. لسان العرب، 64/4.
- (د م ث) دمث: لاَنَ وسَهُلَ. لسان العرب، 410/2.
(69)- في التذكرة الحمدونية : النُّجْلَ.
(70)- في التذكرة الحمدونية: رُقَبَاءِ.
(71)- (ر د ى) ردى: إذا عدا الفَرَسُ فرَجَم الأرْضَ رَجْمًا . لسان العرب، 63/3.
(72)- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية ، 362/5.
(73)- (د ل ح): سحابة دلوحٌ ودالحةٌ: مُثْقَلَةٌ بالماء. لسان العرب، 404/2.
(74)- (س و م): السَّوامُ والسائمة: الإبل الراعية. وهو المال الراعي. اللسان، 372/3.
(75)- (ط ر ف) فرس مُطَرَّف: خالف لون رأسه وذنبه سائر لونه. اللسان، 170/4.
(76)- (ح ب ب) الحُباب: الطَّل على الشجر يصبح عليه. لسان العرب، 08/2.
(77)- (ش م ع) الشُّمُوعُ: الجارية اللعوب الضحوك الآنسة. لسان العرب، 473/3.
(78)- ابن رشيق القيرواني: قراضة الذهب، ص: 14.
(79)-(غ م ر) الغَمْرُ: الماء الكثير، ونهر غَمْر؛ أي يغمر من دخله. اللسان، 58/5.
(80)- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، 61/6.

(81)- في الأنموذج ، ص:145، والوافي بالوفيات: حمامة.- صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1: 1420هـ ، 2000م، 51/19.

(82)- (ن ز ف): التَّزيف: السَّكران المَنْزُوف العقل، لسان العرب، 171/6.